تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

يلعب على التناقضات الأميركية... وفي الوقت الضائع زيارة نتنياهو إلى واشنطن "نقطة التحوّل"

زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو الى واشنطن شكلت نقطة التحول في مجرى الحرب والاحداث. ما بعدها ليس كما قبلها، بعدما عاد من هناك مزودا دعما اميركيا مطلقا وكلمة سر فحواها انهاء الحرب قبل الانتخابات الاميركية

حصد بنيامين نتنياهو تصفيق الكونغرس وتأييده، وايضا دعم المرشحين المنافسين دونالد ترامب وكامالا هاريس، في وقت كان جو بايدن المنسحب من السباق الرئاسي والمنتهية ولايته عمليا يفقد ما تبقى له من نفوذ وقدرة تأثير على نتنياهو الذي عاد من واشنطن "مطلق اليدين" ليكمل مغامرته المجنونة ويزج المنطقة في النفق الطويل.

التبدل الذي طرا على وجهة الحرب وتحولها من مسار مفاوضات مغلقة الى مسار حرب مفتوحة، يسأل عنه رئيس الوزراء الاسرائيلي الذي لعبت التطورات الاميركية الداخلية لمصلحته، والى درجة انه عاد من واشنطن رجلا اخر بـ"فائض قوة" ومواقف اكثر تشددا واكثر استعدادا للمجازفة في كسر الخطوط الحمر وتجاوزها، وفي دفع المنطقة الى حرب كبيرة واستدراج الولايات المتحدة وتوريطها في ما لا تريده وكانت تتفاداه طيلة هذا العام. يخطئ من يعتقد ان اميركا تدير اسرائيل في هذه الحرب، بل اسرائيل هي التي تدير اميركا في الشرق الاوسط، ونتنياهو هو من يضع الجميع في مأزق كبير بعدما نجح في كسر كل ما كان يسمى قواعد اللعبة والاشتباك، وفي خلق ظروف جديدة بالغة الخطورة. فطبيعة الاستهداف لحزب الله عبر قائده العسكري فؤاد شكر وفي عقر داره هو امر بالغ الخطورة، واغتيال اسماعيل هنية في عقر دار ايران وفي مبنى مخصص لكبار الزوار الاجانب وتحت حراسة الحرس الثوري، هو امر بالغ الخطورة ايضا. وفي الحالين هناك نوع من "اعلان حرب" من جانب اسرائيل على ايران وحزب الله.

تدرج الوضع السياسي والمعنوي لنتنياهو من بداية الحرب وحتى الان بشكل ملحوظ. في الايام الاولى بدأ منهارا ومصدوما ولم يستفق من صدمته الا عندما جاءه بايدن وارتمى في احضانه مثل ولد صغير وطفل ضائع يلتقي بوالدته. بعد مرور اشهر عدة بدا محبطا لأن جيشه لم يحقق اي انجاز على الارض، فيما كانت الضغوط تنهار عليه من ادارة بايدن لاتمام صفقة توقف الحرب. في الشهر الماضي، وعشية توجهه الى واشنطن، بدا ينتعش ويستعيد توازنه وزمام المبادرة واحكم قبضته على قرار الحكومة التي خرج منها "المراقب الاميركي" بيني غانتس، ادخل الجيش الاسرائيلي الى رفح وحثه على ارتكاب المزيد من المجازر، عمل على تمييع واجهاض المفاوضات غير المباشرة مع حماس واجهاضها معولا على زيارته الى واشنطن التي شكلت نقطة تحول اساسية.

الرئيس جو بايدن.

انسحاب بايدن يحرره من الحسابات الانتخابية ام يحرر نتنياهو من الضغوط الاميركية؟

ذهب نتنياهو الى الكونغرس في وقت تعاني الولايات المتحدة فراغا سياسيا: فراغ في البيت الابيض بعد انسحاب بايدن من السباق الرئاسي، وفراغ في مجلسي الشيوخ والنواب حيث وقف الاعضاء الحاضرون نحو خمسين مرة للتصفيق. التطورات الانتخابية المفاجئة والمتسارعة ادت الى انقلاب في المشهد الاميركي عرف نتنياهو كيف يستفيد منه، والانطباعات التي اخذها من الوضع الداخلي الاميركي قد ساعدته، على الاغلب، في اتخاذ القرار الحاسم بشن ضرباته لاحقا.

في الواقع لقي نتنياهو داخل الكونغرس الاميركي استقبال الابطال، فيما لمس لدى كل من المرشحين للرئاسة هاريس وترامب رغبة قوية في انهاء الحرب سريعا. ادرك بعد عودته ان الوقت يمر بسرعة وهو غير مفتوح الى ما لا نهاية، وتجلى ذلك بما قاله ترامب بانه لا يريد ان تكون الحرب "ما تزال مستمرة لدى عودتي الى البيت الابيض". وبمعنى آخر "لديك اشهر معدودة اضافية لانهاء ترتيب المسرح في الشرق الاوسط". وهو ما يعني ان على نتنياهو انجاز ما يسعى اليه خلال هذه المدة والتي يصنفها كفرصة تاريخية يجب عدم تفويتها.

ثمة هدف اخر لنتنياهو وهو يتعلق بوضعه الشخصي. ولا بد انه يعتقد بان ذهابه الى النهاية في حربه على غزة ساهم في تحقيق بعض التحسن على شعبيته. واستطرادا فان احتمال نجاته من مقصلة المحاسبة يمكن ان يتحقق اذا ما نجح في تحقيق الهدفين الاستراتيجيين اللذين يقضان مضجع الشارع الاسرائيلي وهما: النووي الايراني وحزب الله. لذلك يندفع بقوة الى تحقيق هذين الهدفين خلال الاسابيع المقبلة وهي الفترة المتاحة امامه والممتدة حتى اواخر السنة الحالية في ابعد تقدير.

السؤال الاساسي الذي فرض نفسه في ضوء تطورات الانتخابات الاميركية ومحادثات نتنياهو في واشنطن، وفي تقدير نتائجه هو: هل ان انسحاب بايدن من السباق الرئاسي حرره من الحسابات الانتخابية، ما يعزز موقفه تجاه نتنياهو لممارسة مزيد من الضغوط في اتجاه وقف الحرب، ام هذا الانسحاب حرر نتنياهو من الضغوط الاميركية ووضع بايدن في موقف ضعيف ويحد من قدرته على ممارسة نفوذه على نتنياهو؟

في الاجمال برزت نظريتان في هذا المجال:

- الاولى رجحت ان يسعى بايدن الى ممارسة الضغوط كافة لابرام صفقة تنهي الحرب في غزة وتفضي الى اطلاق الرهائن المحتجزين، واحراز انتصار سياسي يعزز ارثه السياسي، ويدفع بحظوظ الحزب الديموقراطي ومرشحته هاريس الى الفوز بالانتخابات الرئاسية المقبلة. نتنياهو يدرك حاجة الرئيس الاميركي الى احراز هذه الانجازات والاهداف السياسية، ويحاول كسب الوقت والانتظار حتى نتائج الانتخابات في تشرين الثاني المقبل، ويخطط للحصول على اكبر قدر من التنازلات من جانب حماس، واكبر قدر من المكاسب من الادارة الاميركية. والادارة الاميركية تدرك مآربه واهدافه في اللعب على تكتيكات الوقت، وتستغل كل اوراق الضغط التي تملكها لدفع اسرائيل الى تنفيذ المقترح الذي طرحه بايدن في نهاية ايار الماضي لابرام صفقة على ثلاث مراحل.

- الثانية رجحت ان يكون بايدن اسير ظروفه التي جاءت لمصلحة نتنياهو، ويرى اصحابها ان الرئيس الذاهب والمرشح المخلوع لن يكون حرا في سلوكه حيال اسرائيل ولو لم يعد متسابقا لاهثا خلف تاييد اللوبي اليهودي. فالظروف التي فرضت عليه التنحي ستكمل في فرض مماشاة اسرائيل ونتنياهو شخصيا.

واشنطن اليوم صارت ملحقة بسياسات تل ابيب، لا العكس. وقد تصير اكثر التحاقا

بنيامين نتنياهو.

نتنياهو اكتشف فراغا سياسيا في واشنطن وعاد بفائض قوة

واستلحاقا كلما اقترب ترامب من تاكيد عودته المظفرة. وهو ما يعني بالتاكيد ان الكلام عن ضغوط اميركية للجم نتنياهو بات من نوع الاوهام، حتى اشعار اخر. لا شك ان حسابات اسرائيل تبدلت ايضا. ما عاد نتنياهو عرضة لضغوط بايدن، ولا مضطرا الى ممالأته، بل العكس هو الصحيح.

بنيامين نتنياهو يمسك في يده زمام القرار وبات بعد عودته من واشنطن سيد اللعبة. يماطل ويكسب الوقت بشكل متعمد لانه ينتظر دونالد ترامب وعودته الى البيت الابيض، ولان توجهه هو نحو حرب استنزاف طويلة بوصفها الطريق الوحيدة التي تضمن له عدم سقوط حكومته. وهو ايضا يعتقد ان الاستمرار في الهجمات على غزة واغتيال كبار القادة في حماس سينجح في ان يفرض على حماس اتفاقا افضل ومريحا اكثر لاسرائيل.

هو العقبة الان في التوصل الى اتفاق لوقف اطلاق النار، وهو الورقة الرابحة لواشنطن (لا ايران) لاحتواء الحريق الاقليمي. المشكلة انه، بعد اغتيال شكر وهنية، يشعر بانه قادر على قلب المشهد ورفع سقف الضغوط والمواجهة مهما كان شكل الرد الايراني، وهو يحتاج الى نصر معنوي حاسم في اطار هدف القضاء على حماس، وهو اغتيال يحيى السنوار الذي صدمه بتسلمه قيادة حماس وبات ممسكا بكامل قرارها، عسكريا وسياسيا، ويبدي اصرارا على شروط الصفقة واولها شرط وقف الحرب.

في مقابل استحواذ اقصى التطرف على السلطة والقرار وزمام الامور من الجهتين الفلسطينية (السنوار) والاسرائيلية (نتنياهو). تبرز في المقابل: رئاسة اميركية ضعيفة بعدما انتهى حكم بايدن عمليا وسلطة فلسطينية عاجزة لا سلطة لها ولا سيطرة حتى في الضفة الغربية. هكذا، كلما حاولت واشنطن مع حلفائها العرب تقريب المسافات تصطدم باصرار نتنياهو الذي يعمل على تفشيل الحلول في اي تسوية، وتصطدم بعدم مرونة قادة حماس والقسام في البحث عن بدائل.

يرفض نتنياهو الوقف النهائي لاطلاق النار والانسحاب الكامل من غزة، وانما يريد تغيير قواعد اللعبة، بحيث تصبح غزة منزوعة السلاح من دون حماس ومن دون سلطة رام الله ايضا، ومن دون سيادة امنية فلسطينية، ومن دون افق سياسي لـ"حل الدولتين"، بينما يقوم بها بايدن لانتشال الوضع من خطر الحرب الكبيرة واخذه في اتجاه اخر معاكس: ابرام صفقة تطبيع اسرائيلية اقليمية مشروطة بانهاء الصراع والحرب في غزة، ومن شأنها ان تغير قواعد اللعبة في الشرق الاوسط.